اللسانيات والطب
«اراء حول نموذج الكفاءة اللغوية والأداء اللغوي»(*)

غونتر بوسير

ـ مقدمة: يتساءل الأستاذ الدكتور يوهان كنوب لوخ في مقاله المنشور عام 1955 حول «علم اللسانيات كبحث هادف»: هل بمقدور علم اللسانيات التطبيقي أن يبلغ كل مرة الاستقلالية اللازمة، كي لا يعد محتوى للاختصاصات المتنوعة والمفيدة المرغوب فيها، وكذلك محتوى للأعمال المختلفة التي تجرى في ميدان هذه الاختصاصات؟ والسؤال المماثل يطرح نفسه اليوم مرة ثانية لأنه يسري حتى يومنا هذا الذي يسود فيه تطور جانب من ميادين «الدراسة الهادفة لعلم اللسانيات لكنوب لوخ» إلى ميادين وظيفية وإلى مبادىء وأسس مستقلة بل إلى ميادين البحث البارزة على الأقل في إطار «مجتمع اللسانيات التطبيقية». إن علم اللسانيات التطبيقي أقدم من مجال تطبيق نماذج اللسانيات النظرية ومناهجها لأنه عُدَّ أساساً مستقلا ومتميزاً من خلال الصياغة النظرية والمنهج الخاص المتميز.

وتعقيباً على تصورنا الموضح عن مكانة اللسانيات التطبيقية وأهميتها «في دراستنا 1980» لا بد أن نشرح فيما يلي:

أنه يمكن أن يتوصل من البحث الهادف لعالم اللسانيات العامل في حقل «اكتساب اللغة أو فقدانها» إلى بناء أنموذج للسانيات. حتماً يجب ألا يفهم من ذلك أن الكاتب يطمح من خلال تشكيل الأنموذج إلى تحرير اللسانيات التطبيقية وفصلها عن اللسانيات النظرية المنظمة بل إنه يعتنق بإصرار العرف اللساني ـ لمعهد اللسانيات في بون ـ الذي تتعايش فيه فروع علم اللسانيات المتعددة مع بعضها بشكل متكامل منذ زمن إلى درجة يمكن القول معها: إن اللسانيات واحدة «La Linguistique est une» مما يسمح في التحول من مقولة بيار موريس Pierre Morris إلى الحديث عن الحُبْسَة «Aphasie». إن التأكيد على سمة الازدواجية للغة ككفاءة ومعرفة من جهة وكأداء

(*) هذا المقال ترجمة لبحث من كتاب:

In: Sprachwissenschaftliche forschungen: Festschrift fuer Johann Knobloch zum 65. Geburtstag am 5. Januar 1984, Günter Peuser.

وعمل من جهة أخرى قضية هامة من قضايا اللسانيات التقليدية كما هي في اللسانيات الحديثة.

هذه حقيقة ستظهرها الصياغات المذكورة التالية للثنائية اللسانية الأساسية التي ينعكس فيها تطور الفكر اللساني من خلال الصياغة المتباينة كل مرة ومن خلال التأكيد الدلالي.

هكذا اعتمد ڤيلهلم فون همبولد (1830 - 1835) على اليونانية القديمة بغية تمييز الظاهرة «اللغة» في صورتها السكونية «Ergon» وفي شكلها الحركي «Energia».

أما فرديناند دو سوسور (1916) فقد استخدم من جهته المصطلحين الفرنسيين «Langue» و«Parole» بغية إبراز الظاهرة الاجتماعية «اللغة Langue» أمام الظاهرة الفردية «الكلام Parole». بينما اختار نوام تشومسكي (1966) من جانبه المصطلحات العامة «Competence» و«Performance» ليميز بين معرفة المتكلم اللغوية وبين أدائه الكلامي.

والمساواة الظاهرية بين المصطلحين في الثنائيات المذكورة توهم أن اهتمام اللسانيين وعملهم كانا متجهين إلى وقت قريب إلى اللغة فقط دون غيرها التي سميت بمعان متعددة «Ergon»، «Langue» أو «Competence».

لقد حصل هذا بعض الشيء بسبب نقص الأجهزة والمناهج بغية تدوين الظاهرة السطحية للأداء اللغوي ـ السمعي وتحليلها.

هكذا أرى أن السبب الرئيس لإهمال الأداء اللغوي يكمن في المفهوم الضيق جداً:

ـ لما يمكن أن يكون في الحقيقة موضوع دراسة اللسانيات و

ـ لما يمكن أن ينسب إلى حقل العمل الوظيفي للسانيات هذا المفهوم الذي يتبلور عن طريق هيلمسليف (1974) بشكل واضح من خلال قصر ميدان العمل اللساني على صيغة اللغة «Form».

ومن لا يتعمق هكذا في أفكاره كاللساني الدانمركي «هيلمسليف» المتعصب «لغوياً» ويستبعد من قائمة أعمال اللساني الأصوات اللغوية وكذلك الدلالة الداخلية المثيرة للاهتمام من الوجهة اللسانية النفسية والطبية فإنه يجد حدود الفاعلية اللسانية محققة هنا حيث العوامل كـ «الذاكرة» و«الانتباه» التي تظهر على الساحة.

ومما يؤسف له أنه لا يمكن وضع نموذج عمل للأداء اللغوي في الوضع العلمي الحالي ـ على الرغم من أخذ هذه العوامل بعين النظر ـ، وضع نموذج ضروري لعمل اللسانيات التطبيقية أي لتحليل اكتساب اللغة وفقدانها بالدرجة الأولى وذلك من خلال الآراء متشعبة المعاني ومن خلال نتائج الدراسات اللسانية النفسية والطبية.

لذلك نحاول فيما يلي فحص أهمية نموذج ثنائي ثابت للأداء اللغوي/ والكفاءة اللغوية عن طريق تبويب عيوب النطق الأساسية وبسطها.

1 ـ نموذج الكفاءة / والأداء للمجالات اللغوية وتشفيرها (وضع رموز خاصة بها)

تكوّنت معرفتنا اللغوية/ كفاءتنا/ كما هو موضح في الشكل التالي على صورة حلقة من الدوائر و الطبقات المركزية. يطابق تعاقب/ الوحدات الصوتية ـ الخطوط ـ الألفاظ ـ الجمل ـ النصوص/ إلى حد كبير التقسيم النحوي التقليدي المعروف.

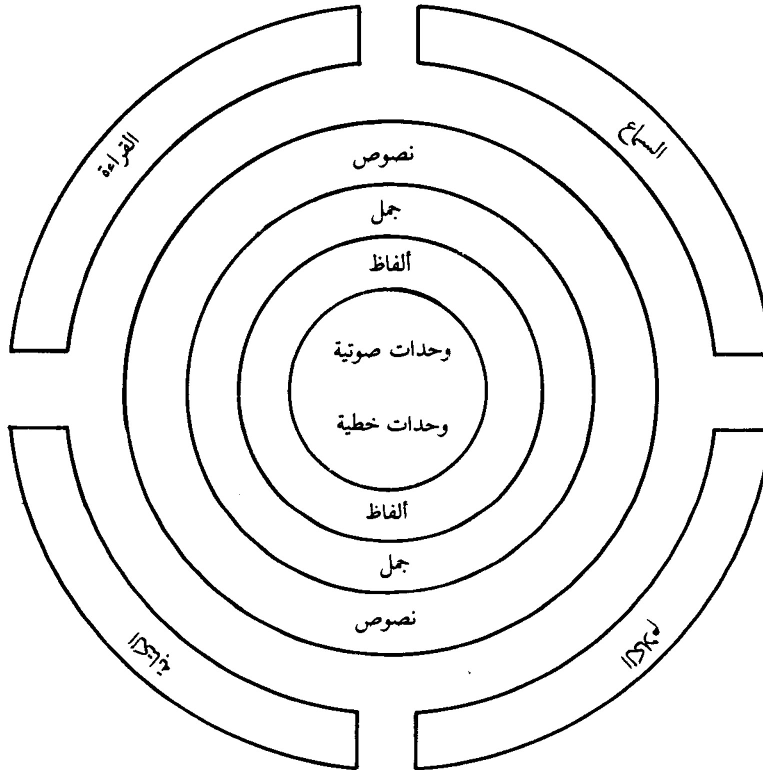
فاذا نظرنا إلى المسألة توليدياً «Generativ» فإنها تتعلق بمجموعة من قواعد بناء العناصر المتناسبة وربطها مع بعضها بعضاً (أنظر الصورة/1/).

هذه المعرفة اللغوية تتحقق بوساطة التشفيرات الاتصالية الأربعة لـ : /السماع/ التكلم/ القراءة/

والكتابة/ كأداء لغوي «Performance» ونظراً لأن في الأخير «الكتابة» قفزة طارئة تنقل من الكفاءة إلى الأداء فقد اقترح إدخال نموذج كفاءة/ أداء متوسط بين هذين المجالين المتباينين (أنظر هنا Neumarie 1971; Kurz / Hartig 1979)، ولدى حل هذه المسألة نسلك طريقاً آخر من خلال تمييزنا طبقات متعددة أو تمييزنا مناحي الكفاءة (أنظر، Peuser 1980.

شكل (1)

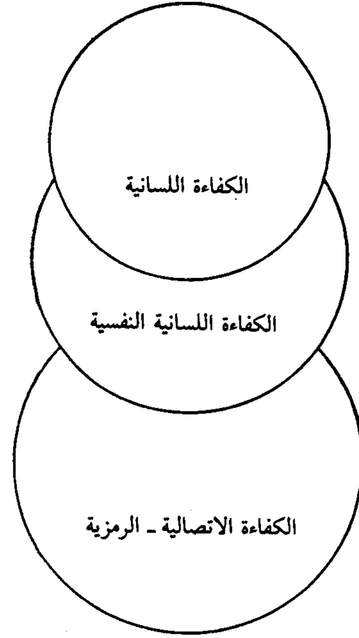
نموذج الكفاءة/ الأداء للمجالات اللغوية وتدوينها



2 ـ مناحي الكفاءة

يظهر من خلال نموذج الكفاءة الموسّع في الشكل /2/ أننا بالإضافة إلى الكفاءة اللسانية ـ لتشومسكي ـ الموضحة في الفصل السابق نميز أيضاً كفاءة لسانية نفسية وكفاءة اتصالية رمزية:

شكل (2)
درجات الكفاءة



تـوصف مناحي الكفـاءة الموضحـة في الشكـل /2/ على النحو التالي:

ـ إن الكفاءة اللسانية من حيث عدها نظام قـواعد أو حسب مفهـوم الشكـل (1) كسلسلة من مجـالات النحـو الداخـلي تطابق إلى حـد ما هـذا الـذي سـماه تشومسكي (1969) بـ «Competence».

ـ تتضمن الكفـاءة اللسانيـة ـ النفسيـة الكفـاءات الذهنية وكفاءات الإثارة/ الانتبـاه/ وكفاءات الـتركيز الضرورية للاحتفاظ بالأداء اللغوي.

ـ يفهم تحت الكفـاءة الرمـزية ـ الاتصـاليـة سـواءً مقـدرة الإنسـان الـرمـزيـة الفـطريـة التي تمكّنـه من اكتساب نظام رمزي واحد أو عدة أنظمة رمزية مختلفة أو القـدرة على إلحـاق هذه الأنـظمة بصـورة مناسبـة بالحاجات الاتصالية الخاصة وبالمعطيات هكذا:

ـ يختار الأصم أنظمة الإشارات المدركة بصرياً.

ـ يختار المشلول الدمـاغي المصاب بِحُبْسَـة صوتيـة كبـيرة الأعـمال المشـيرة الخـاصـة بـأنـظمـة الـرمـوز الاصطناعية.

ـ وأخيـراً يختـار المصـاب بحُبْسَـة كليـة تشكيـل المستوى اللغوي ـ السليم نسبياً غير المفهوم تقطيعيـاً ـ للإيقاع مستعيناً بالتصوير الرمزي للمشاهد والحركات ومستعيناً بالإشارات.

إن كون تمييز التتابع الطبقي لمناحي الكفاءة الثلاثة هذه ليس مجرد نظرية غـامضة يشرح بـل يوضـح من خلال ظواهر اكتساب اللغـة ومراحلهـا بالإضـافة إلى فقدانها أو خسارتها.

اكتسـاب اللغـة: ـ هكـذا تـأتي مـرحلة النضج الأساسية الأولى لكفـاءة الطفـل الاتصاليـة ـ الرمـزية (الإشارية) في المرحلة الزمنية ما بين صلات الـطفل/ الأم الأولية المتبادلة وغير اللغوية وبين اكتشاف السمة الرمزية للعلامات/ الإشارات/ اللغوية.

ـ تـدخـل الكفـاءة اللغـويـة ـ النفسيـة أي كفـاءة الذاكرة والانتباه والتركيز في مرحلة نضج أولى في عمر 1,5 سنة تقريباً أي مع اكتساب الأساس التركيبي ومع مـرحلة استعمال الجمـل المركبـة من لفـظتـين وثـلاث ألفاظ (أنظر في ذلك Clahsen 1982 /1983).

ـ تـدخل الكفـاءة اللسـانيـة ـ النفسيـة في مـرحلة النضـج الأساسيـة مع الاستعـمال الصحيح للقـواعـد الضروريـة لـترتيب الألفـاظ ومـع استخـدام الجمـل المعقدة وبذا يصل الطفل في عمر/ 4 سنوات/ تقريبـاً إلى مرحلة أولى من الكفاءة اللغوية للراشدين.

فعنـدما يعـد عالم اللغـة الطبي بقيـاس نمـو اللغـة وتـطورها ـ أمثـال العالم «Leichner 1979» ـ الخسـارة اللغوية المرتبطة بضرر دماغي ما بـدءاً من هذا العمـر حُبْسَـة لغويـة طفـوليـة أي خسـارة للغـة التي قـد تمّ

اكتسابها، فإن هذا يبدو معقولاً وصحيحاً.

خسارة اللغة (فقدانها): أريد أن أوضح هنا خاصية مناحي الكفاءة الثلاثة من خلال دراسة نتائج جرح ما في الدماغ - مثل داء النقطة - وهنا لا بد من القول المسبق حتماً إننا سننطلق من الحالة الطبيعية لمستخدم اليد اليمنى (يمناوي) الذي تمركزت وظائفه اللغوية في الشطر الأيسر للدماغ.

فإن عانى أمثال هذا المتكلم من ضرر في النصف الأيمن للدماغ السائد فإن هذا لا يؤدي إلى تغيير ملفت للانتباه في لغتهم العفوية.

فقط ومن خلال الاعتماد على فحوص تجريبية دقيقة يمكن إثبات النقص في قدرة المتكلم اللغوية كما هو الحال لدى فهم النصوص المعقدة والمركبة. ونقص القدرة هذا يعود إلى ضرر الذاكرة والانتباه والتركيز أي إلى إعاقة العوامل التي نسميها بالكفاءة اللسانية - النفسية. إنه يظهر أن الاستعمال السليم للقواعد اللسانية في العبارة اللغوية وفي الفهم اللغوي يشترط كفاءة لغوية - نفسية سليمة. واضطراب الكفاءة اللغوية - النفسية هو مكوِّن فرعي لشكل المرض المسمى في الطب بـ «ضعف القدرة الدماغية» (أنظر Faust 1960).

وإذا ما حصل جرح في الشطر الأيسر من الدماغ المسؤول عن اللغة فإنه يظهر اضطراب في الكفاءة اللغوية على كل حال أي تظهر الحُبْسَة.

وتصحب الحُبْسَة «Aphasie» طبعاً وباستمرار باضطراب متزامن في الكفاءة اللغوية - النفسية أي أنها تحاط إلى حد ما بضعف القدرة الدماغية.

أما بالنسبة للكفاءة الاتصالية - الرمزية فإنها درجة الكفاءة الأكثر صموداً، إذ أنها - ولو تضررت (أنظر Fradis/ Leichner 1974) - تظل باقية وفي أصعب حالات الحُبْسَة - الحُبْسَة الكلية - إلى درجة أن المصاب الذي ينتج مقاطع بكماء تقريباً أو حتى مقاطع عديمة المعنى يتحدث في كل الأحوال باليدين والرجلين فقط أو أنه يستطيع أن ينجز رسوماً أو تصويرات حتى يبقى على اتصال أساسي مع البيئة من خلال هذه الطريقة.

كذلك يظل نظام قواعد الاتصال العالية - مثل نظام Turn - Taking - باقياً لدى معظم فاقدي القدرة الكلامية (Auer 1981).

ويتضح في الوقت نفسه من خلال واقع الأمراض اللسانية لمناحي الكفاءة الثلاثة هذه: أن طَرق تشخيصاتنا اللغوية وعلاجاتنا اللغوية غير كافية حتى الآن؛ هكذا يكتفي التشخيص والعلاج في كل الأحوال بقياس الكفاءة اللغوية وتمرينها - يشكل اختبار الحُبْسَة لـ Taylor-Sarno شذوذاً.

تنبغي الإشارة بالطبع إلى الدور الذي يؤديه الانتباه والتركيز والذاكرة المؤقتة بالنسبة لإنتاج الجمل المعقدة وفهمها وذلك لإبراز الأهمية التشخيصية والعلاجية للوظائف المهملة من علم اللسانيات كذلك.

والشيء نفسه ينطبق على الكفاءة الرمزية التي تدرس في حالات المعالجة العادية فقط في ميدان اللغة الكتابية/ واللغة الصوتية.

3 - مناحي الأداء

لا بد هنا من وضع بعض الثوابت الاصطلاحية: نفرق لدى تشفير المعلومات اللغوية التشفيرات اللغوية للسماع والكلام عن التشفيرات اللغوية الكتابية للقراءة والكتابة وذلك من خلال حديثنا عن طرق الأداء. بالإضافة إلى التشفيرات الأربعة المذكورة في الشكل /1/ تراعي أشكال أخرى للتشفير ليس من خصائصها المشتركة الإنتاج العفوي بل

الإنتاج المقلَّد للأخبار اللغوية أي الربط بين فك الرموز والترميز.

تتعلق المسألة هنا بـ : **الترديد والتقليد والقراءة الصوتية والتقليد الإملائي**. على الرغم من استعمال الترميز المقلد في ميدان حالات الاتصال العادية أيضاً/ ـ السكرتيرة تكتب نصاً يملى عليها ـ الأم تقرأ رسالة للأسرة بصوت عال ـ المأمور يردد أمراً ـ المعني بالشراء يدون إعلاناً ـ/ فإنه يشكل حالات الاتصال الاصطناعية أو الموضوعية للدرس والعلاج اللغوي اللذين يكوّنان حقل الاستعمال الحقيقي لأشكال الترميز/ التشفير/.

وعلى عكس صور التشفير العفوية المذكورة تعد صيغ التشفير المقلَّدة حسب رأي (Ungeheuer 1972) **«اتصالاً مميزاً»**.

في مجال التشفيرات الاتصالية المميزة يفرق بين الترميزات التي تبقى لدى الانتقال من عملية فك الرموز إلى الترميز من حيث الكيفية اللغوية الكتابية ـ الصوتية /النقل ـ الترديد/ وبين تلك التي تبدل الطريقة لدى هذا الانتقال /القراءة الصوتية ـ الكتابة الإملائية/.

وبذلك يتولّد التفريق الأول في النموذج /شكل 1/ :

لأن صيغ تكوين الرموز الثماني للأداء تشكل مع مستويات الكفاءة الأربعة شبكة من /32/ مكوناً اتصالياً تتقلص إلى /28/ مكوناً عن طريق عدم القدرة على فك الوحدات الصوتية والوحدات الخطية أو تركيبها.

تعرض المكونات الثمانية والعشرون هذه الموضّحة

المعالج، الفاحص	رد فعل المريض							
المجال اللغوي، المهيج، المثير	التشفير		فك التشفير		نقل/ تحويل التشفير		التقليد	
	صوت	حرف	صوت	حرف	صوت	حرف	صوت	حرف
صوتياً، كتابياً: الأصوات، الأحرف (أسماؤها)					قراءة الصوت	الكتابة بعد الإملاء	الترديد	النقل
صرفياً: الموضوع صور عن الموضوع ألفاظ	تسمية الصور		إبراز الصور		قراءة الصوت	الكتابة بعد الإملاء	الترديد	النقل
تركيبياً صور عن الحالة جمل	وصف الصور		إبراز الصور		قراءة الصوت	الكتابة بعد الإملاء	الترديد	النقل
نصياً: صور عن المقتضيات نصوص	حكاية مجموعة من الصور		تنظيم سلسلة من الصور		قراءة الصوت	الكتابة بعد الإملاء	إعادة القصة من الذاكرة	إعادة القصة من الذاكرة

جدول (1) بيان الوظائف اللغوية الفرعية للفحص اللغوي والمعالجة اللغوية

في الجدول /1/ مقاييس جوهرية لكل ميدان معني بالتحليل والنقل اللغويين في مجال اللسانيات التطبيقية.

فهي تشكل بذلك العناصر الأساسية للعلاج اللغوي وتشخيصه أيضاً اللذين يُكوِّنان من قريب أو بعيد في «طاقات الاختبار» إن صح التعبير من أجل فحص القدرات اللغوية.

من خلال نموذج الكفاءة ـ الأداء المكتشف والسالف الذكر ذي الدرجات المتنوعة تتولد رغبة علم اللسانيات الطبي في تجنيد عمليات مناسبة بالإضافة إلى الوظائف الفرعية لعملية الاختبار اللغوي الملخصة في الجدول /1/ بغية اختبار الكفاءة اللغوية ـ النفسية والكفاءة الاتصالية ـ الرمزية.

يقدّم علم النفس عمليات مناسبة لفحص الانتباه والتركيز والذاكرة ولا بد من تطوير عمليات مناسبة من أجل قياس الكفاءة الاتصالية ـ الرمزية.

واللوائح المستخدمة في علم الأمراض اللغوية لتقدير العمليات الاتصالية (Kaplan / Goodlass 1972) ولتقدير الأنظمة الرمزية المفضلة (1969 Taylor-Sarno) لتحدث ما يمكن أن تقدم الإشارات الأولى لذلك.

فضلاً عن ذلك يمكن أن يوضع جرد للأنظمة الرمزية جميعها [الحركات ـ الرموز الألفبائية ـ كتابة بريل ـ والكتابة الاختزالية. . .] لطرف اتصالي ما حسب مفهوم (1974 Fradis/ Leichner).

4 ـ نحو تحديد حالات الحبسة وتصنيفها

إننا نريد فيما يلي أن نختبر نموذج الكفاءة ـ الأداء المذكور أعلاه من حيث صلاحيته لوصف الاضطرابات الكفاءة اللغوية الأساسية وتصنيفها.

الحبسات: هي في الواقع ـ كما بيّنا ـ اضطرابات الكفاءة اللغوية ـ النفسية وإذا كنا أعلاه نشير إلى السلامة النسبية للقدرة على الاكتساب الحديث وعلى الجهد الاتصالي الممتاز للأنظمة الرمزية الباقية فإن هذا لا يسمح بالنسيان على أن الأنظمة الرمزية لمتكلم ما وكذلك الكفاءة الرمزية ـ الاتصالية تتضرر في الأساس نتيجة التضرر الدماغي (/Fradis 1974 Leichner).

الحبسات مرتبطة عصبياً وتتجلى كاضطرابات منظمة لمستويات الكفاءة اللغوية جميعها وكاضطرابات ترميزات الأداء وكيفياتها جميعاً.

وبغية تمييز اضطرابات الامتلاك اللغوي عن اضطرابات الاكتساب اللغوي (اضطرابات النمو اللغوي) ينطلق الطب (1979 Leichner) من سنٍّ لا يقل عن أربع سنوات.

لقد تمّ البرهان على صحة هذا الحد العمري من خلال أحدث دراسة لاكتساب اللغة (1982 Clahsen) كنهاية للمرحلة الأخيرة من اكتساب النظام الأساسي.

فإذا حُلَّت مسألة وصف الحُبْسَة وتصنيفها حتى يومنا هذا بشكل غير مقبول على الرغم من الدراسة المكثفة في هذا المجال فإن هذا يرجع جوهرياً إلى سببين:

ـ لم تكن شبكة مناهج الدراسة الطبية العادية دقيقة أبداً كدقة الجدول المؤلَّف من ثمانية وعشرين مكوناً /الجدول 1/. وهذا الحكم ينطبق أيضاً على طاقات /بطاريات/ الاختبار الواسعة في مجال اللغة الألمانية لفحص الحُبْسَة في كل من «توبنغن» و«آخن».

ـ الصياغة الكمية والنوعية المتباينة للاضطراب هي السمة الهامة للحُبْسَة اللغوية في مستويات الكفاءة اللسانية المستقلة وكذلك في ترميزات الأداء المستقلة وكيفياتها وهذا ما يصعّب التشخيص العام المناسب

للحالة المفردة كتصعيب التقسيم المميز للحالات المشابهة.

إن الأسباب المذكورة وكذلك الحقيقة أن علم الحُبْسَة التقليدي يجري لدى وصف الحُبْسَات وتصنيفها طبياً وصفياً مرة ولسانياً وصفياً مرة، تؤدي إلى تنوع مربك في تقسيمات الحُبْسَة التي تجمع المقارنة فيما بينها بغية اختبار أشهرها. إن التقسيمات الناتجة عن هذا العرض تبرز طرقاً متنوعة من تصنيف الحُبْسَات اختلف حولها.

تعد التقسيمات المنطلقة من النموذج اللغوي العصبي ـ كما هو الحال لدى Wernicke ولدى Luria ـ طبية تعرِّف الحُبْسَات اضطراباً في المكونات المختلفة لهذا النموذج:

- «حركي، آلي Motorisch» عكس «حسي Sensorisch».
- «غير عضوي Efferent» عكس «عضوي Afferent».

يستخدم عِلم الحُبْسة الطبي في العادة تصورات نموذج لساني عندما يصنف صيغ الحُبْسَة المفردة ـ كما هو الحال لدى Kleist 1934 ـ عن طريق اضطراب مستويات المكونات اللسانية (1935 Mc Bride/ Weisenburg)، يعد اضطراب التشفيرات الاتصالية في الأداء اللغوي مبدأً للتقسيم.

على الرغم من تنوع الصيغ الفرعية للحُبْسَة في التبويبات الإفرادية فإنه لا يمكن أن يغفل التوجه الأساسي للتفريق الثنائي بين الحُبْسات التعبيرية الآلية المضطربة ولاسيما بينها وبين الحُبْسَات الاستقبالية المضطربة حسياً.

وبالإضافة إلى ذلك فإن التمييز المحدد عصبياً في الأصل بين الحُبْسات الآلية والحُبْسات الحسية اكتسب وبالتدريج معنى لسانياً بمفهوم اضطراب الترميز اللغوي / عكس اضطراب فك الترميز اللغوي.

يبدو من خلال العرض التقليدي لتقسيمات الحبسة في الجدول /1/ أن عدداً من احتمالات التصنيف المهيأة لم تستفد من نموذج الكفاءة/ الأداء المعروض في الشكل /1/:

- الطريقة الكتابية للغة المكتوبة.
- الترميزات الاتصالية المتميزة «للترميز التحويلي» و«للمحاكاة».

يؤدي تقليل الأهمية الاتصالية لمناحي الأداء هذه في الحالتين المذكورتين، إلى جانب الاقتصاد المقدم في مجال الفحوص الطبية أيضاً، إلى إهمالها في التشخيص. وبالنظر لأهمية الاتصال الكتابي المتناميه (في عصر نص الشاشة والحاسوب ينبغي أن يفهم أن المسألة ترتبط هنا بغياب تقدير الدور الاتصالي للغة الكتابة)، وهذا هام جداً إلى درجة أن اللغة المكتوبة تلعب دوراً كبيراً كلغة مساعدة أو كلغة تعويضية في العلاج اللغوي (أنظر 1983 Engl-et-al) وصمود اللغة المكتوبة الغريب غير القابل للشرح عن طريق فرضية الإسناد السائدة، والمتجلي في احتفاظها بصورة جيدة أو أفضل لدى عدد كبير من المصابين بالحُبْسِة بالقياس إلى اللغة الصوتية ـ يمكن أن يشرح شيئاً من التفريق الثنائي بين:

- «المصوتين: الذين يتكلمون أفضل مما يكتبون» وبين
- «المخططين: أي المحبوسين الذين يكتبون أفضل مما يتكلمون، (أنظر في هذا الباب Peuser (1980 1983).

عُدَّ التشفير الاتصالي الخاص للمحاكاة الصوتية «حُبْسَة رئيسة» أو «حُبْسَة مركزية» فقط لدى اضطراب هذا التشفير، لدى الاضطراب المنتفى والواقع في إطار الاضطراب العام.

وشكلاً الحُبْسَة كلاهما يمكن أن يوصفا أو يصنفا على وجه التقريب كـ : «حُبْسَات الترديد». تقدم أكثر أبحاث الحُبْسَة جدة نتائج خاصة باضطراب التشفير النقلي/ التحويلي/ تشير إلى شكل مرضي جديد وإلى ما يسمى بالحُبْسَة الإملائية (Fradis/ Weigl 1977).

لا تنشأ الحاجة إلى اهتمام تشخيصي بالترميزات الاتصالية الخاصة فقط من خلال أهميتها بالنسبة للاتصال اليومي بل من خلال النظرة المحققة في بنية الاضطراب الخاص.

هكذا فإن تقديم فكرة عن حجم الاضطراب في أشكال الترميز المفردة مهم كشرط لما يسمى بـ «معالجة فك الإعاقة» (Springer 1978). وفي المعالجة الطبية تميز خمس صيغ للحُبْسَة في «بون» بينما تميز أربع صيغ في «آخن» بالنسبة لمتحدثي اللغة الألمانية.

وهنا يعتمد تقسيم أهم أشكال الحُبْسَة وأغلبها حسب رأي (Leichner 1972 /1979) على معياري نموذجنا المذكور للكفاءة/ والأداء وذلك من خلال اتخاذ ـ ولو كان ذلك داخلياً وغير منظم ـ اضطراب مجالات الكفاءة اللغوية واضطراب مناحي الأداء الاتصالية أساساً للتصنيف والترميز:

ـ هكذا تشير «الحُبْسَة العفوية» إلى الاضطراب النسبي الخفيف الذي يخص المجال المعجمي بشكل كبير (في نموذجنا ميادين الألفاظ).

ـ وفي «الحُبْسَة الكلية» ترتبط المسألة بالتخفيض الكبير لمستويات اللغة ووظائفها جميعاً.

ـ عُلِّمت «الحُبْسَة العفوية الآلية» لدى آيشنر ـ بغض النظر عن اضطراب اللفظ المرافق للتلعثم، من خلال الاضطراب المعجمي والتركيبي، هذا الاضطراب الذي يتجلى بالدرجة الأولى في الترميز (وضع الرموز).

ـ وعلى عكس ذلك فإن «الحُبْسَة العفوية الحسية» هي اضطراب غالب في فك الترميز.

ـ أما «الحُبْسَة المختلطة» فإنها توضح في عملية الترميز والقضية تتعلق في صورة اضطراب هذه العملية من حيث المزج بين اضطراب فك الرموز وبين اضطراب وضع الرموز.

5 ـ اللسانيات التطبيقية وبناء نموذج اللسانيات الطبية

بغية البقاء منذ البداية في إطار نموذج الحُبْسَة لا بد من التساؤل: كيف ينبغي أن تعمل اللسانيات التطبيقية بالنظر إلى الحالة المصورة؟

ومن جملة إمكانيات العمل القائمة يبرز لدينا احتمالان جديران بالذكر:

1 ـ إدخال الإصلاح إلى الوصف الطبي أو الاستعاضة عنه بالوصف اللساني.

2 ـ إقامة وصف لساني إلى جانب الوصف الطبي الحالي.

ولا بد هنا من تسجيل الآراء المعارضة والمخالفة لكلا الاحتمالين:

ـ حقق الاقتراح اللساني الأكثر شهرة والقاضي بالتقسيم الثنائي إلى حُبْسَات مضطربة جداً «جوارياً، تركيبياً» ⟵ «تبادلياً» نجاحاً بسيطاً في حقل العيادة الطبية (جاكبسون 1956).

ـ كذلك يمكن للتصنيف اللساني الطبيعي والاصطلاح المقترن به الذي يبرز حتى اليوم اتجاهات ومناحي لم تؤخذ بعين النظر في حقل الاضطراب اللغوي كمفهوم الـ «الحُبْسَات الصوتية» (Pilchs/ Hemmer 1974) أو حسب اقتراحنا التقسيم في «حُبْسات صوتية وكتابية» (Peuser 1978) ألا يحظى في المستقبل بنجاح كبير في العيادة الطبية.

مجال الاضطراب	Wernicke 1874	Bay 1967	Gloning 1968	gloss 1972	Kleist 1934	Kreindler Fradis 1968	Lebrung (1)	Leichner 1972	Luria 1964	Poeck 1975	Weisenburg Mc Bride 1935
تعبيري	آلية	حبسة + تلعثم حبسة (خالصة)	حركية عفوية	Broca غير منظمة	آلية التلعثم 1 ـ الصوتي 2 ـ اللفظي 3 ـ الإسمي 4 ـ الجملي	آلية عفوية	آلية غير منظمة (البعد عن النحو) عفوية	آلية آلية/ عضوية عفوية عفوية/ آلية	عضوية آلية آلية غيرعضوي/ آلية	Broca عفوية	اتصالية عفوية
استقبالي	حسية أساسية	حبسة + أساسية	حسية	Wernicke صوت مفرد لعدة أصوات	حسية إليكم : ـ الصوتي ـ اللفظي ـ المركزي ـ الدلالي	حسية صوت مفرد لعدة أصوات	حسية إصطلاحية أساسية	حسية حسية/ عفوية عفوية/ حسية	حسية دلالية صوتية/ عفوية	Wernicke أساسية	استقبالية
اتّصالي /					عامة	عامة	مشتركة كلية	عامة	مشتركة كلية	عامة	مختلطة

جدول (1) تصنيف الحُبْسات اللغوية وتسميتها منذ «Wernicke»

(1) ـ معلومة شخصية.

يستدل من ذلك أن محاولات التصنيف ذاتها الواسعة والمدعومة بالحاسوب للفئات المصابة بالحبسة تصب دائماً في ميدان الاصطلاح التقليدي أو أنها تصادق على صحتها (1977 Phipps/ Kertesz).

كما أن تعايش التصنيفات الطبية واللسانية ـ الطبية يمكن أن يزيد الفروق الاتصالية القائمة على كل حال بين اللسانيات والطب ويصعب الاتصال اللازم للسانيات الطبية الآخذ بمجموعة من الأسس هذا اذا كان لا يهددها جدياً بخطر.

ونظراً لأن أي تحديد مستقبلي للحبسات يتضمن كل مرة الإقرار بعامل اضطراب واحد فقط /كالعامل العفوي/ وكحد أقصى بعاملي اضطراب /كالآلي والعفوي) ويعني بذلك استقلالية جديدة بالضرورة فإن الاستغناء عن تصنيف جديد يكون سهلاً.

غير أن الصعوبة تنشأ من أن التحديدات

كـ «الحُبْسَـة المختلطة» أو «الحُبْسَـة الحسيـة» تسـد الطريق للمبتدىء من حيث عـرض الحُبْسات جميعهـا مـزجاً لاضـطراب التعبير اللغـوي واضـطراب الفهم اللغـوي أو من حيث عـدم كـون اضـطراب الفهم اللغـوي أهم سمة متميـزة تشخيصياً للحُبْسَـة الحسية (1980 Schrifer).

ويتولد الخوف من أن هذه التسميات ترشد البحث وتصعب الأفكـار الجـديـدة. وعـلى الـرغم من هـذه الأفكار وعلى الرغم من كثافة معرفتنـا عن الحُبْسَات، هذه الكثافة المتغيرة والمختلفة باستمـرار فإن الـوقت لم يصـل إلى حد النضـج بعد بـالنسبـة لتصنيف لسـاني يـراعي اضطراب الكفـاءة واضطراب الأداء بـطريقـة ثابتة وهذا يتعلق أخيراً بالإهمال المذكور لـلأداء الحالي من قبل الدراسة اللسانية.

هناك نقص في التحاليـل الدقيقـة لحُبْسَة المتحـدث نحـويـاً / في نمـوذج غيـاب النحـو واضـطراب بنـاء الجمل /. هذه التحاليل تمكن من وصف الاضطراب المتنـاقص للكفاءة الـتركيبية / في إطـار بناء الجمـل / بـدءاً من الحُبْسَة الكليـة وحتى العفويـة ومن الأشكال الصعبـة إلى البسيطة إبـان المرض اللغـوي، وعمـل «1982 Clahdsen - 1983» في وصف درجات اكتساب اللغة لدى الطفل يمكن أن يدون نموذجاً هنا.

كما أن هناك نقصاً في تعديل الثنائية اللسانية الطبية مثلهـا مثل اللسـانية الـطبية، في تعـديل الثنـائية غـير الموفقة «للصوت، والوحدة الصوتية» التي تعيق بمعناها البنيوي (تروبتسكـوي 1939) والتوليـدي (تشومسكي 1969) معالجة الاضطرابات التلفظية المشروطـة عصبياً معالجة مقبولة متميزة تشخيصياً أكثر مما تطالب به.

هكـذا لم نستـطع في عمـل آخـر (1975 Peuser) بسبب اضطراب المقاييس الصوتية أن نثبت فـرقاً بـين الاضطراب اللغوي التلعثمي وبين حُبْسَة الاضطراب اللغوي (أنظر في ذلك 1984 Kotten).

كما أن النموذج المعياري للغة الكتـابة المعتمـد على الصـوتيات الـوظيفية التـوليـديـة يُستَخْـدم في تحليـل الأخـطاء وفي التنبؤ بأخـطاء الكتابـة لـدى المصـابـين بـالحُبْسَـة وبـالضعف في كتـابـة الألفـاظ والجمـل والنصوص (1983 Peuser). لذلـك تؤخذ النـظريات المتضمنـة ثنـائيـة «الاضـطراب الصـوتي - والصـوتي الـوظيفي» بعـين النـظر في نمـوذج عمـل المستـويـات المختلفة للإنتاج اللغوي (1979 Keller).

والـظاهر أن هنـاك نقصاً في الـوعي الذاتي في علم اللسانيات الطبي الحالي وفي اللسانيات التطبيقية بغيـة اختبار نماذج اللسانيات النظامية السـائدة اعتـماداً على وقـائعهـا التجـريبيـة وبغيـة تعـديـل هـذه النـماذج أو استبدالها.

إن بيان كنوب لوخ المستشهد بـه في بدايـة البحث لا يزال يثبت عصريته عـلى الرغم من مـرور ما يـزيد عن ثلاثين عاماً على الإدلاء به.

وبحسب مفهوم الحلقة المفترضة منا في موضع آخر (1981 Winter/ Peuser) يمـكن أن يحـول الاهتـمام اللسـاني المعني بالتجميع التجريبي والعملي للوقائـع اللغوية إلى صياغة الأنمـاط والنظريـات وبذلـك يمكن عد التوضيحات السابقة خطوة في هذا الاتجاه.

ترجم هـذا المقال خصيصـاً لمجلة الفكـر العـربي د. خالد جمعة ـ جامعة دمشق.